حبيب بن مسلمة الفهري

(رضي اللّه عنه)

فاتح شطر أرمينية

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع اللغة العربية بدمشق – المجلد 49 – ج1– ص 34 – 57

1393هـ - 1974م

حبيب بن مَسلمة الفهري
فاتح شطر أرمينية(١)

اللواء محمود شيت خطاب

إسلامه

هو حبيب بن مَسْلَمَة بن مالك الأكبر بن وَهْب بن ثَعْلَبَة بن وائلة بن عَمْرو بن شَيْبان بن مُحارب(٢) بن فِهْر بن مالك القُرَشيّ الفِهْري ، ويكنى أبا عبد الرحمن(٣) .

أتى النبي ﷺ وهو بالمدينة ، فأدركه أبوه فقال : « يا رسول الله ! يدي ورجلي » ، فقال النبي ﷺ : « ارجع معه ، فإنه يوشك أن يهلك » ، فهلك أبوه في تلك السنة(٤) .

وفي رواية : أنّ حبيباً قدم على النبي ﷺ غازياً ، وأن أباه أدركه بالمدينة ، فقال : « يا نبيّ الله ! إنه ليس لي ولد غيره يقوم في مالي وضيعتي وعلى أهل بيتي » ، فردّه معه وقال : « لعلّك أن يخلو لك وجهك في عامك ، فارجع يا حبيب

---

(١) إرمينية : بلاد واسعة بين أذربيجان وبلاد الروم ، ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة ، وهي أربع إرمينيات : الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٠٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (٤٩٥) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (١٧٨) وانظر كتاب الطبقات عن أبي عمرو خليفة ابن خياط (٦٣) .

(٣) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٩) والإصابة (١/٣٢٣) وأسد الغابة (١/٣٧٤) والاستيعاب (١/٣٢٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٩) وتهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) .

مع أبيك » فرجع حبيب ومات مَسْلمة في ذلك العام ، وغزا حبيب فيه[١] .

وكان حبيب مع النبي ﷺ في غزاة (تَبُوك) وهي آخر غزوه غزاها النبي ﷺ[٢] ، وأنكر بعض العلماء أن يكون حبيب غزا مع النبي ﷺ لأنّ النبي ﷺ قبض وحبيب ابن اثنتي عشرة سنة[٣] .

وفي رواية : أن النبي ﷺ قبض وحبيب ابن اثنتين وعشرين[٤] ، وهذا ما أرجّحه ، لأن حبيباً لا يمكن أن يأتي النبي ﷺ للغزو وهو ابن عشر سنين أو إحدى عشرة سنة ، ولأنه لايمكن أن يصرّف أمور والده الإدارية في مثل هذه السن المبكرة ، ولأنه تولّى قيادة كردوس في معركة (اليرموك) الحاسمة التي كانت سنة ثلاث عشرة الهجرية ولا يمكن أن يتولى مثل هذه القيادة وهو ابن أربع عشرة سنة ، لذلك فمن المعقول جداً أن يكون عمره حين قبض رسول الله ﷺ اثنتين وعشرين سنة .

والظاهر أنه أسلم عام الفتح ، وكان فتح مكة سنة ثمانٍ هجرية ، فأتى النبي ﷺ في تلك السنة ليشارك في الجهاد تحت لوائه ، ولكن النبي ﷺ ردّه ، فمات أبوه ، فحضر غزوة (تبوك) التي كانت سنة تسع الهجرية ، وهذا ما يتفق مع سير الحوادث والمنطق السليم .

لقد سمع حبيب من النبي ﷺ[٥] وروى عنه حديثاً واحداً[٦] ، فهو صحابي جليل[٧] ، نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد ، عليه أفضل

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) وانظر طبقات ابن سعد (٧/٤١٠) .

(٤) المحبر (٢٩٤) .

(٥) أسد الغابة (١/٣٧٤) .

(٦) الإصابة (١/٣٢٣) والاستيعاب (١/٣٢١) .

(٧) أسد الغابة (١/٣٧٤) والإصابة (١/٣٢٣) ، وقال الإمام البخاري : له صحبة .

الصلاة والسلام ، وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة[١] .

جهاده

١ – شهد حبيب معركة (اليرموك) الحاسمة قائداً لأحد الكراديس[٢] ، وكان ذلك سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٣٤ م) ، فأظهر في تلك المعركة بسالة فائقة .

وشهد في السنة نفسها فتح دمشق ، فشارك في فتح (الغُوْطة)[٣] .

وشهد أكثر معارك فتح أرض الشام ، وحين سار أبو عبيدة بن الجراح من (حلب) إلى (أنطاكية) – وقد تحصّن بها خلق كثير – صالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم ، وأقام بعض فآمنهم ، ثم نقضوا فوجّه إليهم أبو عبيدة عياض بن غَنْم وحبيب بن مسلمة ، ففتحاها على الصلح الاول ، وكان ذلك سنة خمس عشرة الهجرية[٤] (٦٣٦ م) .

وبعث أبو عبيدة بن الجراح جيشاً مع حبيب إلى (قاصرين)[٥] ،فصالحهم أهلهـا على الجزية أو الجلاء ، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض (الجزيرة) وقرية جسر (مَنْبِج)[٦] واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم[٧] .

---

(١) أصحاب الفتيا من الصحابة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم – (٣٢٢) .

(٢) الطبري (٥٩٣) .

(٣) الغوطة : من الغائط وهو المطمئن من الأرض ، وجمعه : غيطان وأغواط ، والغوطة : هي الكورة التي منها دمشق ، فيها عدّة أنهر تسقي بساتينها ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣١٤) وهي مُتنزه دمشق وبجمع بساتينها ومكانها معروف اليوم . وانظر الطبري (٢/٦٠٢) حول هجوم حبيب على الغوطة .

(٤) ابن الأثير (٢/٤٩٥) .

(٥) قاصرين : بلد كان بقرب بالس ، انظر معجم البلدان (٧/١٣) .

(٦) منبج : مدينة كبيرة بينها وبين حلب عشرة فراسخ ، انظر معجم البلدان (٨/١٦٩) .

(٧) ابن الأثير (٢/٤٩٦) .





وسيَّر أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه جيشاً مع حبيب إلى حصن (الحَدَث)[١]، وإنما سُمي (الحدث) لأن المسلمين لقوا غلاماً عليه حدثاً فقاتلهم في أصحابه، فقيل: (درب الحدث). وقيل: لأن المسلمين أصيبوا به فقيل: (درب الحدث)، وكان بنو أمية يسمونه: (درب السلامة) لهذا المعنى[٢]، ففتحه حبيب في أيام عمر بن الخطاب[٣] رضي الله عنه سنة خمس عشرة الهجرية.

وأمدّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عياض بن غَنم بحبيب، فقدم على عياض في (الجزيرة)[٤]، فقاتل حبيب تحت لواء عياض وفتح (شِمْشاط)[٥] و(مَلَطْيَة)[٦] عنوة[٧]، واستعمله عمر بن الخطاب على عجم (الجزيرة) وحربها واستعمل الوليد بن عُقبة على عرب (الجزيرة) وحربها، فأقاما بـ(الجزيرة) على أعمالها[٨]، وكان ذلك سنة سبع عشرة الهجرية (٦٣٨ م). ولكن أهل (ملطية) نقضوا الصلح، فلما ولي معاوية بن أبي سفيان الشام لعمر بن الخطاب

---

(١) حصن الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، ويقال لها: الحمراء، لأن تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل يقال له: الأحيدب، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٣١).

(٢) ابن الأثير (٢/٤٩٧) وانظر ابن خلدون (٢/٩٤٧).

(٣) معجم البلدان (٣/٢٣١).

(٤) الجزيرة: هي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات، وتشمل على ديار مضر وديار ربيعة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) والمسالك والممالك (٥٠).

(٥) شمشاط: مدينة في بلاد الروم على شاطىء الفرات، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٩٣).

(٦) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم أرض الشام، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٥٠).

(٧) ابن الأثير (٢/٥٣٥).

(٨) الطبري (٣/١٥٧) وانظر ابن الأثير (٥٣٢).

وجّه اليها حبيباً ورتّب فيها جنداً من المسلمين مع عاملها[١] .

وصرف عمر بن الخطاب حبيباً من (الجزيرة) الى منطقة (باب الابواب)[٢] مدداً لسُراقة بن عمرو، فشهد فتح (باب الابواب)[٣] ، وكان أحد الشهود الذين وقّعوا على وثيقة الصلح بين سراقة بن عمرو وملك (باب الابواب)[٤] ، وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢ م) .

وبعد أن اطمأن سراقة في منطقة (باب الابواب) ، وجّـــه حبيباً الى (تفليس)[٥] فلم يستطع حبيب فتحها[٦] في هذه المرة ، لأن قواته لم تكن كافية للنهوض بالفتح ، فقد كانت قليلة بالنسبة الى ضخامة قوات العدو .

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان أرض الشام لعثمان ، أمّر حبيباً على (باب الابواب) وحبيب يومئذ بـ (جُرزان)[٧] ، فكفر أهل ارمينية ، فكاتب حبيب أهل (تِفليس) وتلك الجبال من (جُرزان) فاستجابوا له[٨] .

٢ - وارتبكت أمور (ارمينية) في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان على الكوفة الوليد بن عُقبة، فكتب اليه عثمان : إن معاوية بن أبي سفيان كتب

---

(١) ابن الأثير (٢/٥٣٥) .

(٢) باب الأبواب : ميناء كبير على بحر الخزر ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٩) .

(٣) الطبري (٣/٢٣٦) .

(٤) الطبري (٣/٢٣٧) وابن الأثير (٣/٢٩) وابن خلدون (٢/٩٨٣-٩٨٤) .

(٥) تفليس : مدينة بأرمينية الأولى ، وبعض يقول بأرّان ، وهي قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب ، وهي مدينة قديمة أزلية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩) .

(٦) الطبري (٣/٣٧) .

(٧) جرزان : اسم جامع لناحية بأرمينية ، قصبتها تفليس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٨٣) .

(٨) ابن الأثير (٣/٣١) .

إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين في جموع كثيرة ، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فابعث اليهم رجلاً له نجدة وبأس في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف من المكان الذي يأتيك كتابي فيه ، والسلام »[١] .

وقام الوليد بن عقبة في الناس وأعلمهم الحال ، وندبهم مع سلمان بن ربيعة الباهلي ، فانتدب معه ثمانية آلاف ومضوا حتى دخلوا مع أهل الشام إلى أرض الروم ، فشنّوا الغارات على أرض الروم وأصـــاب الناس ما شاؤوا وافتتحوا حصوناً كثيرة[٢] .

وقيل : إن الذي أمدّ حبيب بن مسلمة بسلمان بن ربيعة الباهلي كان سعيد ابن العاص[٣] ، وكان سبب ذلك أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كتب الى معاوية ابن أبي سفيان يأمره أن يُغزي حبيب بن مسلمة في أهل الشام (ارمينية) ، فوجّهه إليها ، فأتى حبيب (قَالِيْقَلا)[٤] فحصرها وضيق على من بها ، فطلبوا الأمان على الجزاء أو الجزية ، فجلا كثير منهم ولحقوا ببلاد الروم ، وأقام فيها فيمن معه أشهراً[٤] ، لا يستطيع إدامة زخم الفتح لقلة قواته .

كما بلغـــه أن بطريق (أرْمِيْنا قس)[٥] وهي بلاد (مَلَطْيَة)

---

(١) ابن الاثير (٣/٨٣) .

(٢) ابن الأثير (٣/٨٣ – ٨٤) .

(٣) الصواب أن الذي بعث سلمان هو الوليد بن عقبة ، لأن سعيداً تولى الكوفة سنة ثلاثين الهجرية .

(٤) قاليقلا : مدينة بارمينية العظمى من نواحي خلاط ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٧) . وإنما سميت : (قاليقلا) لأنّ امرأة بطريق أرميناقس كان اسمها : (قالى) بَنَتْ هذه المدينة ، فسمتها : (قالى قَلَه) ، تعني : (إحسان قالى) ، فعربتها العرب فقالت : (قاليقلا) ، انظر ابن الأثير (٣/٨٤) .

(٤) ابن الأثير (٣/٨٤) .

(٥) ارميناقس : هي بلاد ملطية وسيواس وأقصرا وقونية وما والاها من البلاد الى خليج القسطنطينية ، انظر ابن الأثير (٣/٨٤) .

و(سيواس)[١] و(قُونْية)[٢] وما والاها من البلاد الى خليج (القسطنطينية)[٣] واسمه (المَوْريان) قد توجه نحوه في ثمانين ألفاً من الروم[٣]، فكتب الى معاوية بن أبي سفيان ـ وهو على الشام لعثمان بن عفان رضي الله عنه ـ فكتب معاوية الى عثمان، فأرسل عثمان الى سعيد بن العاص يأمره بامداد حبيب، فأمده بسلمان بن ربيعة الباهلي في ستة آلاف. وأجمع حبيب على تبييت الروم[٤]، فسمعته امرأته أم عبد الله بنت يزيد الكلبية[٥] فقالت: «أين موعدك؟!»، فقال: «سرادق المَوْريان». ثم بيّتهم حبيب، فقتل من وقف له، حتى أتى السرادق، فوجد امرأته قد سبقته اليه، فكانت أول امرأة ضرب عليها حجاب سرادق[٦].

ولما انهزمت الروم عاد حبيب الى (قاليقلا)، ثم سار منها فنزل (مربالا)[٧]، فأتاه بطريق (خِلاط)[٨] بكتاب عياض بن غَنْم بأمانه، فأجراه عليه، وحمل إليه البطريق ماعليه من مال[٩].

---

(١) سيواس: بلدة كبيرة تبعد عن القسطنطينية (٤٤٠) ميلاً الى شرق جنوبها الشرقي، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٦٢)، وهي بلدة معروفة في تركيا.

(٢) قونية: من أكبر بلاد الروم، وهي مدينة كبيرة انظر معجم البلدان (٧/١٨٦) وهي قريبة من سيواس في تركيا.

(٣) ابن خلدون (٢/١٠٠١) وزاد ابن الأثير (٣/٨٤): ملطية وسيواس واقصرا ... الخ.

(٤) بَيّت: دبّر ليلاً، ومعناه: القيام بالهجوم الليلي على العدو.

(٥) مات عنها حبيب فخلف عليها الضحّاك بن قيس، فهي أم ولده، انظر ابن الأثير (٣/٨٤).

(٦) انظر ابن الأثير (٣/٨٤) وابن خلدون (٢/١٠٠١).

(٧) مر بالله: ناحية بارمينية قرب خلاط، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٥).

(٨) خِلاط: قصبة ارمينية الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة، وببردها في الشتاء يضرب المثل، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٥٣).

(٩) ابن الأثير (٣/٨٤) وانظر ابن خلدون (٢/١٠٠١).





ونزل حبيب (خلاط) ، ثم سار منها فلقيه صاحب (مُكْس)[١] وهي من (البُسْفُرْجان)[٢] ، فقاطعه على بلاده . ثم سار منها الى (أرْدَشاط)[٣] وهي القرية التي يكون بها القرمز الذي يُصبغ به ، فنزل على (دَبيل)[٤] وسرح الخيول إليها فحصرها ، فتحصّن أهلها ، فنصب عليهم منجنيقاً ، فطلبوا الأمان ، فأجابهم إليه[٥] .

ووجّه حبيب سرية إلى (سِراج طَيْر)[٦] و (بَغْرَوَنْد)[٧] ، فصالحه بطْريقها على إتاوة ، وقدم على حبيب بطريق (البُسْفُرْجان) ، فصالحه على جميع بلاده .

وأتى حبيب (السِيسَجان)[٨] ، فحاربه أهلها فهزمهم وغلب على حصونهم .

وسار إلى (جُرْزان) ، فأتاه رسول بطريقها يطلب الصلح ، فصالحه .

---

(١) مكس : موضع بارمينية من ناحية البسفرجان قرب قاليقلا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣٢/٨) .

(٢) البسفرجان : كورة بأرض أرّان ومدينتها النَّشَوَى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨١/٢) .

(٣) أردشاط : وردت في ابن الأثير (٨٥/٣) : أزدشاط ، ووردت في ابن خلدون (١٠٠١/٢) : أردستان ، والصحيح هو : أردشاط ، وهي قرية في منطقة البسفرجان وهي قرية القرمز ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٨٤/١) .

(٤) دبيل : مدينة بارمينية تتاخم أرّان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٥/٤) .

(٥) ابن الأثير (٨٥/٣) وابن خلدون (١٠٠١/٢) .

(٦) سراج طير : هي كورة في ارمينية الثالثة وقيل الثانية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٨/٥) .

(٧) بغروند : بلد معدود في ارمينية الثالثة ، انظر معجم البلدان (٢٤٥/٢) .

(٨) السيسجان : بلدة بعد أران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٩٦/٥) .





وسار إلى (تفليس) ، فصالحه أهلها ، وفتح عدّة حصون ومدن تجاورها صلحاً[١] .

وبعث حبيب سلمان بن ربيعة الباهلي إلى (أرّان)[٢] ففتح (البَيْلَقان)[٣] صلحاً على أن آمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم الجزية والخراج .

ثم أتى سلمان مدينة (بَرْذَعَة)[٤] ، فعسكر على (الثُّرْثُور)[٥] ، نهر بينه وبينها نحو فرسخ ، فقاتله أهلها أياماً ، وشنّ الغارات في قراها ، فصالحوه على مثل صلح (البيلقان) ودخلها .

ووجّه سلمان خيله ، ففتحت رساتيق[٦] الولاية: ولاية (أرّان) ، ثم وجّه سرية إلى(شَمْكُور)[٧] ففتحوها، وسار سلمان إلى مجمع (أرس)[٨] و (الكُرّ)

---

(١) ابن الأثير (٣/٨٥) وابن خلدون (٢/١٠٠١) وانظر البلاذري(٢٠٠-٢٠٧).

(٢) أرّان : اسم لولاية كبيرة واسعة وبلاد كثيرة منها جنزة وبرذعة وبيلقان ، وهي من أصقاع ارمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٧٠) .

(٣) البيلقان : مدينة قرب « باب الأبواب » ، تعد من ارمينية الكبرى قريبة من شيروان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٤٠) ، وهي من مدن أرّان .

(٤) برذعة : هي قصبة أرّان في ارمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١١٩ - ١٢٢) .

(٥) الثرثور : نهر بينه وبين برذعة نحو فرسخ ، انظر معجم البلدان (٣/١٠) وابن الأثير (٣/٨٥) .

(٦) رساتيق : جمع رستاق ، وهو كل موضع فيه مزارع وقرى ، ولا يقال ذلك المدن كالبصرة وبغداد ، وهو أخص من الكورة والأستان ، انظر معجم البلدان(١/٣٨).

(٧) شمكور : قلعة بنواحي أرّان ، وهي مدينة قديمة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٩٥) .

(٨) مجمع « أرس » و « الكر » : ملتقى النهرين أرس والكر ، ولم أجد لأرس ذكراً ، ووجدت الكر : نهر بين ارمينية وأران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٣٧) .





ففتح تلك المناطق وصالحه صاحب (شَرْوَان)[١] وسائر ملوك الجبال وأهل (مَسْقَط)[٢] و(الشابَران)[٣] ومدينة (باب الأبواب) ثم امتنعت بعده[٤].

وهكذا استعاد حبيب بمعاونة سلمان بن ربيعة الباهلي فتح مناطق شاسعة من ارمينية وفتحا مناطق شاسعة أخرى لأول مرة ، وكان ذلك الفتح في سنة خمس وعشرين الهجرية (٦٤٥ م) .

وقيل : فتحت ارمينية على يد حبيب سنة إحدى وثلاثين الهجرية[٥] (٦٥١م) . والصواب هو ما ذكرناه سابقاً .

٣ - وفي سنة اثنتين وثلاثين الهجرية (٦٥٢ م) ، كان عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي على (باب الأبواب) ، فخاض معارك قاسية استشهد في أحدها عبد الرحمن أخو سلمان[٦] فخلفه سلمان على (باب الأبواب) .

فأمده عثمان بن عفان رضي الله عنه بأهل الشام على رأسهم حبيب . وذلك سنة اثنتين وثلاثين ، الهجرية (٦٥٢ م) .

وأراد سلمان أن يتأمر على الجيش كله ، فأبى حبيب حتى قال أهل الشام : « لقد هممنا بضرب سلمان » ، فقال الكوفيون : « إذن والله نضرب حبيباً ونحبسه وإن أبيتم كثرت القتلى فينا وفيكم » ، وقال أوس بن مغراء في ذلك :

---

(١) شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب بينها مائة فرسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٨/٥) .

(٢) مسقط : رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٤/٨) .

(٣) الشابران : مدينة من أعمال أران ، بينها وبين شيروان نحو عشرين فرسخاً ، انظر معجم البلدان (٢٠٥/٥) .

(٤) انظر ابن الأثير (٨٥/٣-٨٦) وابن خلدون (١٠٠١/٢) .

(٥) ابن الأثير (١١٩/٣) .

(٦) ابن الأثير (١٣١/٣) .

إن تضربوا سلمان نضرب حبيبكم وإن ترحلوا نحو ابن عفّان نرحَل
وإن تقسطوا فالثغر ثغر أميرنا وهذا أميرٌ في الكتائب مُقبِلُ
ونحن ولاة الأمر كنا حماته ليالِيَ نرمي كل ثغر ونَعْكِلُ[1]

وأراد حبيب أن يتأمر على الجيش كما يتأمر أمير الجيش إذا جاء من الكوفة فكان ذلك أول اختلاف وقع بين أهل الكوفة والشام[2].

واستشهد سلمان بن ربيعة الباهلي في معركة (بَلَنْجر)[3]، فهمّ عثمان أن يولي حبيباً جميع ارمينية ، ثم رأى أن يجعله غازياً بثغور الشام والجزيرة[4]، فأرسله إلى تلك المنطقة التي كان خبيراً بأرضها وبأساليب قتال الروم ، حتى أطلق عليه : (حبيب الروم) لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم[5]، فولاّه(قِنّسْرين)[6] سنة خمس وثلاثين الهجرية[7] (٦٥٥ م) ، ولكنه لم يكد يستقر في هذه المدينة حتى بعثه معاوية بن أبي سفيان على رأس جيش من أهل الشام لنصرة عثمان ابن

---

(١) عكل الشيء : جمعه بعد تفرقه . وهي لغة من عَقَلَ . أي أنهم يغلبون على الثغور ويحسنون ضبطها وإحكام أمرها . اشارة الى قوتهم ومنعتهم .
ابن الأثير (٣/١٣٣) وفي الطبري (٣/٣٥٣) ورد عجز البيت الثالث :
ليالِيَ ترمي كلّ ثغر ونُنْكِلُ وانظر البداية والنهاية (٧/١٦٠) .

(٢) ابن الأثير (٣/١٣٣) وانظر الطبري (٣/٣٥٣) ، وكان من ثمرات هذا الاختلاف أن توقّف الفتح فلم يستعيدا فتح منطقة نقضت ولم يفتحا(سلمان وحبيب)فتحاً جديداً ، وقد ذكر التاريخ أن حذيفة بن اليمان كان معهما ، فغزا بقواته ثلاث غزوات وقتل عثمان وهو في الغزوة الثالثة ، انظر الطبري (٣/٣٥٣) .

(٣) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٨) .

(٤) البلاذري (٢٠٧) .

(٥) أسد الغابة (١/٣٧٥) والاستيعاب (١/٣٢٠) وتهذيب ابن عساكر(٤/٣٥) .

(٦) قنسرين : مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٦٨-١٧٠) .

(٧) ابن الأثير (٣/١٨٦) .

عفان رضي الله عنه[١] ، فلما بلغ (وادي القُرى)[٢] لقيه الخبر بقتل عثمان ، فعاد أدراجه الى الشام[٣] .

الإنسان

عاد حبيب الى الشـام ، فوجدها تضطرم حماسة وغيظاً على قتـلة عثمان رضي الله عنه .

ولم يزل في الشام مع معاوية بن أبي سفيان في حروبه كلها[٤] : كان معه في (صِفِّين)[٥] ، على الميسرة[٦] ، وقد حمل بميسرته على ميمنة رجال علي بن أبي طالب ، فهزمهم وانكشف الناس من قِبَل الميمنة حتى لم يبق منهم إلا عبد الله ابن بُدَيْل في مـائتين أو ثلاثمائة من القراء قـد اسند بعضهم الى بعض وانجفل الناس[٧] . وحضر اجتماع الحَكَمَيْن مع كبار أنصار معاوية بن أبي سفيان[٨]. وقيل إنْ معاوية حضر الحَكَمَيْن ، وإنه قام عشية في الناس فقال : « أما بعد ! مَنْ كان متكلماً في هذا الأمر فليُطْلع لنا قرنه » ، قال عبد الله ابن عمر : « فأطلقت حَبْوَتي[٩] ، فأردت أن أقول : يتكلم فيه رجال قاتلوك وأباك على الإسـلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق الجماعة ويُسفك فيها دم ،

---

(١) ابن الأثير (٣/١٦٠) .

(٢) وادي القرى : وادٍ بين الشام والمدينة من أعمال المدينة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٧٥) .

(٣) أسد الغابة (١/٣٧٥) والاستيعاب (١/٣٢١) وانظر ابن الأثير(٣/١٧٠) .

(٤) طبقات ابن سعد (٧/٤١٠) وأسد الغابة (١/٣٧٥) .

(٥) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٧٠) .

(٦) ابن الأثير (٣/٢٩٤) .

(٧) ابن الاثير ٣/٢٩٨

(٨) ابن الأثير (٣/٣٢١) .

(٩) احتبى بالثوب : اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، والاسم : الحَبوة ويضم .




وكان ما وعد الله فيه من الجنان أحب إليّ من ذلك. فلما انصرفت الى المنزل جاءني حبيب بن مسلمة فقال: ما منعك أن تتكلّم حين سمعت هـذا الرجل يتكلم؟ قلت: أردت ذلك ثم خشيت! فقال حبيب: وُفِّقْتَ وعُصِمْتَ[1]».

وكان من الذين يستشيرهم معاوية في الأمور العظيمة[2]، وقد ردّ شبيب بن عامر الذي اجتاح أرض الشـام حتى وصل (بَعْلَبَك)[3] – ردّه على أعقابه[4]. وكان معاوية لا يردّ شفاعته[5]، أثيراً عنده.

صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه، وخرج الى الشـام مجاهداً في حياة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم دخل دمشق، وكانت داره بهـا عند طاحونة السـقفيين مشرفة على نهر (بَرَدَى)[6]، وكان شريفاً له ولد كثير في (حوران)[7]، وهو من أشراف قريش[8]، وكان عظيم القدر[9] ذكياً من أصحاب الفتيا بين صحابة النبي صلى الله عليه وسـلم، وكان كالمشرف من دابة لطوله[10]، وكان جيد البدن: دخل على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال له: «إنك لجيد القناة»، فقال: «إني جيد سنانها»، فأمر به عمر أن

(١) ابن الأثير (٣/٣٣٣–٣٣٤) وانظر الإصابة (١/٣٢٤).
(٢) ابن الاثير (٣/٣٥٤).
(٣) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٢٦)، وهي مدينة في بلاد الشام معروفة، لا تزال آثارها قائمة.
(٤) ابن الأثير (٣/٣٧٩).
(٥) ابن الأثير (٣/٤٨٤).
(٦) نهر بردى: نهر في دمشق، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١١٨).
(٧) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٦).
(٨) أسد الغابة (١/٣٧٤).
(٩) المعارف (٦١٥).
(١٠) المعارف (٥٩٢).

يدخل دار السّلاح، فأدخل وأخذ منها سلاح رجل[١]. وقدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاجاً، فقال له عمر: «إنك لفي قناة رجل»، فقال: «إي والله وفي سنانه»، فقال: «افتحوا له الخزائن، فليأخذ ما شاء»، فأعرض حبيب عن الأموال وأخذ السلاح[٢].

وكان أهل الشام يثنون عليه[٣]، قال شريح بن الحارث فيه:

ألا كل مَنْ يُدْعى حبيباً ولو بدت
مروءته يَفْدي حبيبَ بني فِهْر
همامٌ يقود الخيل حتى كأنّما
يطأن برَضْراض[٤] الحصى جاحِم[٥] الجمر

ويُروى أيضاً:

شهاب يقود الخيل حتى يُزيرَها
حياضَ المنايا لا يثيب على وتر
تهبطن فاستصعدن حتى كأنما
يطأن برضراض الحصا جاحم الجمر[٦]

وكان معاوية بن أبي سفيان قد وجّهه في جيش لنصرة عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فذكره حسّان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

إلاّ تُنيبوا لأمر الله تعترفوا
كتائباً عُصَباً من خلفها عُصَب[٧]

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٣٦/٤).
(٢) تهذيب ابن عساكر (٣٧/٤).
(٣) الاستيعاب (٣٢٠/١-٣٢١).
(٤) الرضراض: الحصى الصغار في مجاري المياه.
(٥) الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال.
(٦) تهذيب ابن عساكر (٣٦/٤).
(٧) آثرنا رواية الديوان للبيت (تح. د. عرفات) ١٩٧١ ج١/١٢٠ - أما رواية ابن عساكر فمختلفة. (لجنة المجلة)

فيهم (حبيب) شهاب الموت يقدمهم
مشمِّراً قد بدا في وجهه الغضب[١]

وقد أفرط محبوه فقالوا: إنه كان مستجاب الدعوة[٢]، قال شريح بن الحارث: «كان حبيب بن مسلمة فاضلاً مجاب الدعوة[٣]».

وفرّط فيه مبغضوه حتى نسجوا حوله التهم المختلفة والقصص الملفقة. فقد ذكروا على لسان الحسن بن علي رضي الله عنه أنه عاتبه مرة فقال: «يا حبيب! رُبَّ مسير لك في غير طاعة الله»، فقال حبيب: «أما مسيري الى أبيك فلا!»، قال: «بلى والله! ولقد طاوعت معاوية على دنياه، وسارعت في هواه؛ فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في دينك؛ فليتك إذ أسأت الفعل أحسنت القول، فيكون كما قال الله تعالى: «وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً»[٤]، ولكنك كما قال الله تعالى: «كلاّ بَلْ رانَ[٥] على قُلوبِهِمْ ما كانوا يَكسِبون[٦]».

ومن الواضح أنّ الذي أدار هذا الحوار جعله على لسان الحسن بن علي رضي الله عنه، وهو مَن هو مكانة وقدراً في قلوب المسلمين وعقولهم، ليصم حبيباً وصمة لا ينهض من كبوتها بعدها أبداً.

ولكن الذي يدقق في الحوار يجد أنه مختلق للحط من شأن حبيب، وفي الوقت الذي يقود هذا الحوار الحسن بن علي رضي الله عنه في بعض المصادر،

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٦).
(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٨).
(٣) الاستيعاب (١/٣٢٠-٣٢١).
(٤) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩:١٠٢).
(٥) ران عليه: غلبه وغطّاه.
(٦) الآية الكريمة من سورة المطففين (٨٣:١٤)، وانظر ما جاء عن هذا الحوار في الاستيعاب (١/٣٢١) وانظر أيضاً البيان والتبيين (٢/٩٩).

يقوده في مصادر أخرى ولد شُرَحْبيل بن السِّمْط[١]، دون ذكر اسم هذا الولد - وكان لشرحبيل عدة أولاد[٢] ، وجاء الحوار مع ولد شُرحبيل : أنَّ حبيباً حضر جنازة شرحبيل بن السمط ، فقال له ولد شرحبيل : « رب مسير لك في غير طاعة الله ... الخ » مع اختلاف في بعض ما جاء في الحوارين الأول والثاني في اللفظ دون المعنى !

وليس من المعقول أن يحضر المرء جنازة أب من الآباء ، فيقابله أولاده بمثل هذا الحوار العنيف !

ثم إنَّ شرحبيل بن السمط كان من رجال معاوية بن أبي سفيان[٣] ، فكيف يقف أحد أولاده هذا الموقف من حبيب وهو وأبوه من رجال معاوية أيضاً ؟

ومَنْ أدار هذا الحوار وقاده ؟ أهو الحسن بن علي رضي الله عنه ، أم هو أحد أولاد شرحبيل ؟؟

متى وأين واجه الحسن بن علي رضي الله عنه حبيباً ؟

إنَّ الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فتحت الباب على مصراعيه للذين يريدون الانتقاص من رجالات العرب والمسلمين ، والغنم كله لأعداء العرب والمسلمين .

ولاّه عمر بن الخطاب على (الجزيرة)[٤] سنة سبع عشرة الهجرية (٦٣٨م) وكان على عجم (الجزيرة) ، ثم ضمَّ اليه (ارمينية) و (أذْرَبيجان)[٥] وكان ذلك سنة اثنتين وعشرين الهجرية (٦٤٢م) .

---

(١) شرحبيل بن السمط ، صحابي جليل، انظر التفاصيل في أسد الغابة(٢/٢٩١).

(٢) جمهرة أنساب العرب (٤٢٦) .

(٣) أسد الغابة (٢/٢٩٢) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) .

(٥) أذربيجان : حدّها من برذعة مشرقاً الى أرزنجان مغرباً ويتصل من جهة الشمال =





وبقي على (ارمينية) في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنـــه حتى سنة خمس وثلاثين الهجرية (٦٥٥ م) ، فولاه (قِنَّسرين)، وكان عليها حين استشهد عثمان رضي الله عنه .

وشغلته الفتنة الكبرى بعـــد ذلك ، حتى ولاه معاوية بن أبي سفيان (ارمينية) سنة إحدى وأربعين الهجرية ، (٦٦١ م) فمات فيها[١] .

ولد قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة (٦١٠ م) ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قبض وهو ابن اثنتين وعشرين[٢] إذ لا يمكن أن يكون مع الرسول القائد في غزوة (تبوك) وهي آخر غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن إحدى عشرة سنة[٣] ، كما لا يمكن أن يكون قائداً لكردوس في معركة (اليرموك) الحاسمة وهو ابن ثلاث عشرة سنة على اعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن اثنتي عشرة سنة[٤] وأنه ولد قبل سنتين من الهجرة[٥] (٦٢٠ م) كما يدعي بعض المؤرخين .

وتوفي سنة اثنتين وأربعـــين الهجرية[٦] (٦٦٢ م) ، فكان عمره يوم توفي

= ببلاد الديلم والجبل والطَرْم، وهو إقليم واسع من مدائنها تبريز والمراغة وخُوي وسلماس وأُرمية ومرند وغير ذلك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/١٥٩-١٦١) . وانظر تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) حول توليه ارمينية وأذربيجان .

(١) أسد الغـــابة (١/٣٧٥) والإصابة (١/٣٢٣) وطبقات ابن سعد (٧/٤١٠) والاستيعاب (١/٣٢١) وابن الأثير (٣/٤٢٤) ، وفي المحبر (٢٩٤) : أن معاوية وجّهه الى المدينة فمات فيها ، وليس بشيء .

(٢) المحبر (٢٩٤) .

(٣) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) .

(٤) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥)وطبقات ابن سعد (٧/٤١٠) .

(٥) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٥) .

(٦) أسد الغابة (١/٣٧٥) والإصابة (١/٣٢٣) طبقات ابن سعد (٧/٤١٠) والاستيعاب(١/٣٢١) وابن الأثير (٣/٤٢٤)وابن خلدون (٣/٢٨٨)وكتاب الطبقات عن أبي عمرو خليفة ابن الخياط .

أربعاً وخمسين سنة قمرية ، وكانت حياته قليلة في تعداد السنوات ، كثيرة في تعداد جلائل الأعمال ، قصيرة في عمر الزمن ، باقية آثارها على الزمن .

وكان سبب وفاته أنه دخل الحمام فأطال المكث فيه ، فبدت علته التي مات بسببها[١] فربما أصيب بالبرد من جرّاء ذلك فأثر في رئته فمات بذات الرئة . أو أنه مات بمرض من أمراض جهاز التنفس .

القائد

ليس هناك شك في كفاية حبيب قائداً متميزاً ، فقد كان على صغر سنّه يتنقل من ساحة عمليات الى ساحة عمليات أخرى ، فاتحاً مرة ، ومدداً مرة أخرى ، وكان النصر حليفه في كل معركة خاضها .

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة غازياً ، وكان يومئذ صغيراً وشهد غزوة (تبوك) تحت لواء الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وبهذه الغزوة بدأ جهاده الأصغر وهو يناهز العشرين من عمره القصير[٢] .

وحين رآه عمر بن الخطاب صلب العود قويّ البدن ، جرّبه تجربة عملية ليرى أي نوع من الرجال هو ، فعرض عليه خزائن المال وخزائن السلاح ، فاختار السلاح وعفّ عن المال .

وتفضيل السلاح على المال من نوايا القائد الذي تغلغل حب الجندية في أعماق نفسه .

وقد تولّى قيادة كردوس في معركة (اليرموك) الحاسمة وهو ابن أربع وعشرين سنة، مما يدلّ على ظهور سماته القيادية مبكراً وهو في ريعان الشباب .

وولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجم (الجزيرة) إدارياً وقائداً ، وليس

---

(١) تهذيب ابن عساكر (٣٨/٤) .

(٢) كان عمر حبيب يوم تولّى منصب قيادة منطقة عرب الجزيرة وإدارتها ثمان وعشرين سنة .





من السهل أن يوليّ عمر كل إنسان مثل هـذا المنصب الرفيع ، لأن عمر كان يلتزم بصفات معينة في القائد قلّ أن تتوفر في الرجال .

وأخيراً ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ارمينية) و (أذربيجان) وهي مناطق شاسعة وقيادة مهمة للغاية نظراً لشدة شكيمة أهلها ولبعدها عن قوائد المسلمين الرئيسية والمتقدمة[٢] .

ومارس القيادة والإدارة معاً بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حتى توفاه الله وهو قائد أخطر منطقة في حدود الدولة الاسلامية الشمالية : ارمينية .

والقد كان شجاعاً غاية الشجاعة ، مقداماً غاية الاقدام : لما توّجـــه لقتال (الموريان) كان في ستة آلاف ، وكان (الموريان) في سبعين ألفاً ، فقال حبيب لمن معه : « إن يصبروا وتصبروا ، فأنتم أولى بالله منهم ؛ وإن يصبروا وتجزعوا فإن الله مع الصابرين » . ولقيهم ليلاً ، فقال : « اللهم أجلّ لنا قمرها ، واحبس عنا مطرها ، واحقن دماء أصحابي ، واكتبهم شهداء » ، ففتح الله له[٣] ؛ فكان من أسباب انتصاره على عدوه بالاضافة الى عامل الايمان هو الهجوم الليلي الذي باغت به العدو وجعل معنوياته تنهار ثم يولى الأدبار .

وكان مثالاً شخصياً حياً لرجاله في الشجاعة والإقدام ، فقد كان يقود رجاله من الامام . يقول لهم : اتبعوني ، ولا يبقى في الخطوط الخلفية مؤثراً السلامة والعافية . حين عزم أن يُبيِّت (الموريان) سمعته امرأته يذكر ذلك ، فقالت له : «وأين الموعد ؟» ، فقال : «سرادق موريان أو الجنة» . وبَيَّت حبيب عدوّه وقتل من صادفه في طريقه ؛ فلما أتى السرادق ، وجد امرأته قد سبقته اليها[٤] ؛

---

(١) كان عمر حبيب حين تولى (ارمينية) و (أذربيجان) ثلاثاً وثلاثين سنة .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) .
(٣) الطبري (٣/٣٠٩) والبلاذري (٣٠٩) ، وكم نحن بحاجة اليوم الى قادة يتقدمون جيوشهم ولا يأخرون عنها .





فلم يكن وحده بطلاً يضرب لرجاله بأعماله البطولية أروع الأمثال ، بل كانت امرأته أيضاً بطلة يقتفي الأبطال آثارها في التضحية والفداء .

وكان يستشير رجاله ويتقبل مشورتهم ، وكان لايستأثر بالرأي دونهم ، بل كان يتنصت ليتلقف آراء رجاله . ويطبق مايراه حسناً ، وينفّذ مايجده صواباً ، بالإضافة الى عقد مؤتمرات الشورى قبل المعارك وفي أثنائها وبعدها .

سمع يوماً أحد رجاله يقول : « لو كنت ممن يسمع حبيب مشورته ، لأشرت عليه بأمر يجعلُ الله فيه لنا وله نصراً وفرجاً إن شاء الله » . واستمع حبيب لقوله ، فقال أصحابه : وما مشورتك ؟! فقال : « أشير عليه أن ينادى بالخيول فيقدمها ، ثم يرتحل بعسكره فيتبع خيله . وتوافيه الخيل في جوف الليل وينشب القتال ، ويأتيهم حبيب بسواد عسكره مع الفجر ، فيظنون أنّ المدد قد جاءهم ، فيرعبهم الله ، فيهزمهم بالرُّعب »[1] .

ونادى حبيب بالخيول ، فوجّهها بليلة مقمرة مطيرة ، ثم ارتحل وراء خيوله ، ولكنه عاد الى عدوّه في السحر ، فحمل وحمل أصحابه ، فانهزم العدوّ وأصابوا غنائم كثيرة[2] .

فهو حين بعث بخيوله ليلاً ثم سار على أثر الخيل مبتعداً عن ساحة المعركة ، ظنّ العدوّ أنّ قوات حبيب قد انسحبت بعيداً عنهم ، لذلك لجأوا الى الراحة والاطمئنان واستمتعوا بالأمن والدعة .

ولكنهم لم يكادوا يستقرون ، إلا وفاجأهم حبيب بهجومه الليلي : قاتلت خيوله أولاً ، ثم دخلت قواته الأخرى المعركة كأنها مدد جديد ، مما فتّ في عضد عدوّه ، واضطره على الفرار .

وتلك خطة عسكرية بارعة ، تيسّر فيها مبدأ : المباغتة ، وهو أهمّ مبدأ من مبادىء الحرب على الإطلاق .

(١) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) .

وكان حبيب صاحب كيد[١] : يفكِّر ويُقدِّر ثم يستشير رجاله ويستطلع ساحة القتال ويحصل على المعلومات المستفيضة عن العدو ، ثم يبني من بعد ذلك خطته العسكرية على هدى وبصيرة .

غزا حبيب الروم في خلافة عمر بن الخطّاب رضي عنه ، وكان على جماعة من المسلمين ، فاهتمّ عمر بأمرهم ، فلما بلغه خروج حبيب ومَن معه ، خرّ لله ساجداً[٢] .

ومن الواضح أنّ جيش المسلمين يومذاك كان في خطر داهم ، لذلك اهتم عمر بمصيرهم وأهمه أمرهم .

ولكن قيادة حبيب الواعية الحكيمة ، أدّت الى خروج جيش المسلمين من المأزق الذي كان فيه ونجاته من الخطر الذي كان مُحدق به .

إنّ أعمال حبيب العسكرية خطط مدبّرة ، ولم تكن خططاً ارتجالية ، لذلك رافق النصر أعلامه في أخطر ساحات القتال في الفتح .

وبالإضافة الى تلك المزايا أو قبلها ، كان حبيب مؤمناً حقاً صادق الإيمان . كان اذا لقي عدواً أو ناهض حصناً يحبّ أن يقول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم »[٣] .

وكان قد أُمِّر على جيش ، فلما لقي العدو قال للناس : « إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم – أو قال سائرهم – إلاّ أجابهم الله. ثم إنه حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : اللّهم احقن دماءنا واجعل اجورنا أُجور الشهداء »[٥] .

---

(١) الطبري (٣/٣٠٩) .
(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٧) .
(٣) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٠) .
(٤) تهذيب ابن عساكر (٤/٣٨) .
(٥) تهديب ابن عساكر (٤/٣٨) .

وقد كان ذكياً ألمعيّ الذكاء، خبيراً بالحروب لطول ممارسته لها، يطبق أكثر مبادىء الحرب أهمية، وكان صحيح القرار سريعه، يثق برجاله ويثقون به ثقة لا مزيد عليها، وكان يحبهم ويحبّونه حباً لا مزيد عليه؛ فقد اختلف هو وسلمان بن ربيعة الباهلي، فتواعد بعضهم بعضاً، فقال أهل الشام لأهل العراق: لقد هممنا بضرب سلمان[1]، وذلك لشدة حبهم لقائدهم حبيب وحرصهم على سنده ودعمه.

وكان ذا شخصية قوية نافذة، وقابلية بدنية متفوقة[2] ونفسية رصينة لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار.

لقد كان حبيب قائداً فذّاً، جمع مزايا القائد الفذّ: الطبع الموهوب، والعلم المكتسب، والتجربة العملية.

حبيب في التاريخ

فتح حبيب المناطق التي كان يسكنها غير العرب من (الجزيرة) وقد كانت (الجزيرة) تسكن من العرب ومن غيرهم قبل الفتح الإسلامي، ولا تزال كذلك حتى اليوم.

وفتح معظم (ارمينية) واستعاد فتحها أكثر من مرة، حتى بلغ قريباً من ساحل البحر الأسود.

وهذه الفتوح لسرعة إنجازها، وسعة رقعتها، وقلة تكاليفها المادية والمعنوية، تعتبر من الأعمال العسكرية الباهرة.

إن حبيب بن مسلمة، أسدى للفتح الإسلامي - قائداً وإدارياً - خدمات لا تُنسى، فهو بدون شك من ألمع قادة العرب والمسلمين، ومن ألمع إدارييهم أيضاً.

رضي الله عن الصحابي الجليل الإداري الحازم، السياسي المحنك، القائد الفاتح، حبيب بن مَسْلَمة الفِهْري.

(١) الطبري (٣/٣٥٣) وانظر الاستيعاب (١/٣٢٠).
(٢) الإصابة (١/٣٢٣).

المصادر

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير الجزري الملقب بعز الدين) :

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - طهران - ١٣٧٧ هـ .

٢ - الكامل في التاريخ - بيروت ١٩٦٥ م .

ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني) :

٣ - الإصابة في تمييز الصحابة - القاهرة ١٣٢٥ هـ .

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى) :

٤ - أصحاب الفتيا من الصحابة - القاهرة .

٥ - جل فتوح الإسلام - القاهرة .

٦ - جمهرة أنساب العرب - القاهرة - ١٣٨٢ هـ .

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله) :

٧ - المسالك والممالك - طهران - ١٩٦٣ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) :

٨ - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت - ١٩٦٦ .

ابن خياط (أبو عمرو خليفة بن خياط) :

٩ - كتاب الطبقات - دمشق - ١٩٦٦ .

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر) :

١٠ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - القاهرة .

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن عساكر الشافعي) :

١١ - التاريخ الكبير (تهذيب ابن عساكر) - دمشق - ١٣٢٩ هـ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري) :
١٢ - المعارف - القاهرة - ١٩٦٠ م .
ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) :
١٣ - البداية والنهاية في التاريخ - بيروت - ١٩٤٦ م .
أبو جعفر بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي :
١٤ - المحبر - بيروت .
أبو الفدا (إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة) :
١٥ - تقويم البلدان باريس - ١٨٤٠ م .
الإصطخري (أبو إسحق إبراهيم بن محمد الفاسي الإصطخري) :
١٦ - المسالك والممالك - القاهرة - ١٣٨١ هـ .
البشاري (المقدسي المعروف بالبشارى) :
١٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - لايدن - ١٧٠٦ م .
البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري) :
١٨ - فتوح البلدان - القاهرة - ١٩٥٩ م .
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) :
١٩ - تاريخ الأمم والملوك - القاهرة - ١٣٥٧ هـ .
القزويني (زكريا بن محمد القزويني) :
٢٠ - آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت - ١٣٨٠ هـ .
النووي (أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي) :
٢١ - تهذيب الأسماء واللغات - القاهرة .
ياقوت (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي) :
٢٢ - معجم البلدان - القاهرة - ١٣١٣ هـ .

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ذي الحجة سنة ١٣٩٣ هـ   كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٧٤ م

خواطر عن الدكتور طه حسين

الأستاذ شفيق جبري

قمت من النوم يوم الاثنين في ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٧٣ فأصغيت إلى إذاعة « لندن » ، فسمعت المذيع ينعي الدكتور طه حسين ؛ وقد بلغ من العمر أربعاً وثمانين سنة ، فلا أبالغ إذا قلت إنني اضطربت بعض الاضطراب ، فالإنسان إذا كبر وسمع ذكر الموت فلا بدّ له من أن يبلغ القلق منه مبلغاً ولو يسيراً .

سمعت نعي الدكتور طه حسين ، فسألت الله تعالى أن يدخله في رحمته الواسعة ، وقد كانت صحته قد ساءت من سنين ، كان صوته ـ إذا تكلّم أو حاضر أو أذاع حديثاً ـ يأخذ بمجامع القلوب ، حتّى إن إذاعة « لندن » قالت مرّة : إن صوته لا يعدله صوت من حيث الحسن ، ولكن المرّة الأخيرة التي سمعته